المحاضرة (الخامسة عشرة)

ثالثًا : (تصنيف الأصوات بحسب المخارج والصفات)

إن دارس الأصوات اللغوية يحتاج إلى معرفة مكوِّنات الصوت اللغوي وخصائصه حتى يحدد علاقة كل صوت بالأصوات الأخرى ، وأثر ذلك على سلوك الصوت في اللغة ، وما يطرأ عليه من تغيرات في السلسلة الكلامية . وقام علماء اللغة لتحقيق ذلك بتصنيف الأصوات إلى مجموعات بالاستناد إلى عدد من الاعتبارات النطقية الخاصة بتلك الأصوات . وكان علماء العربية التجويد قد صنفوا الأصوات بالاستناد إلى أمرين اثنين : الأول : مخارج الأصوات ، والثاني: صفات الأصوات ، وكلمة (مخرج) تشير إلى المكان الذي تعترض فيه آلة النطق مجرى النَّفَس ، فتُعَدَّل في طريقة مروره ، من قفلٍ تام للمجرى يُعقبه انفتاح ، أو تضييق ينتج من تقارب عضوين من أعضاء آلة النطق ، وقد سَمَّوْا موضع القفل أو التضييق مَخْرَج الصوت . وكلمة الصفة تشير إلى الأوضاع التي تتخذها آلة النطق عند أنتاج الصوت ، فتحدد ملامحه الصوتية من خلال تلك الأوضاع ، وهي تتعلق بنوع الاعتراض ودرجته في المخرج ، وبحالة الوترين الصوتيين عند النطق بالصوت ، وبحالة أقصى اللسان عند النطق بأصوات طرف اللسان خاصة، وبوضع أقصى الحنك واللهاة وأثر ذلك في فتح مجري النفس إلى التجويف الأنفي أو غلقه.

وأشهر تصنيف للأصوات بحسب المخارج والصفات في التراث الصوتي العربي هو ما ورد في كتاب سيبويه ، الذي جعل المخارج ستة عشر مخرجاً وذكر من الصفات سبع عشرة صفة . وكان لهذا التصنيف تأثير مستمر في الدراسات الصوتية العربية القديمة سواء أكان ذلك عند علماء العربية أم عند علماء التجويد ، على نحو ما سنوضح في الفصل اللاحق ، أن شاء الله . لكن ذلك التأثير لم يمنع عدداً من علماء السلف من مراجعة تصنيف سيبويه والتعديل فيه أو الإضافة عليه ، بناء على نظرات علمية صحيحة ومعتبرة أما الأصواتيون العرب المحدثون فإن طريقة تصنيفهم للأصوات بحسب المخارج والصفات قد تأثرت بالدرس الصوتي الأوروبي كثيراً من جوانب متعددة ، فغلب على كثير منهم جعل المخارج عشرة ، وربما زاد بعضهم مخرجاً أو نقص مخرجاً ، وبعض ذلك يستند إلى اعتبارات صحيحة ، وبعضه لا تتضح معه مثل تلك الاعتبارات . أما الصفات عندهم فإن أثر الدرس الصوتي الغربي أكثر ظهوراً في طريقة دراستهم لها ، وهم عادة ما يعرضون تصنيف الأصوات بحسب المخارج والصفات في إطار واحد يستند إلى ثلاثة أمور هي:

الأول : موضع النطق (المخارج) .

الثاني : حالة الوترين الصوتيين (الجهر و الهمس) .

الثالث : الطريقة التي تتدخل بها أعضاء النطق ، ويذكرون في الغالب هنا الصفات الآتية : الانفجارية ، والاحتكاكية ، والمركبة ، والجانبية ، والمكررة ، والأنفية ، وأنصاف الحركات . ولسنا هنا بصدد الدخول في تفاصيل موضوع المخارج والصفات ، لأننا قد خصصنا الفصل الثالث لذلك ، وإنما أردنا أن نستوفي الكلام هنا على أسس تصنيف الأصوات ، وهو مكمل لموضوع إنتاج الأصوات اللغوية الذي عقدنا هذا الفصل لدراسته . وسوف نعرض وجهات نظر علماء السلف والباحثين المحدثين في دراسة المخارج والصفات مفصلة ، في الفصل الآتي ، وسوف نحدد هناك المنهج الذي نرجحه لتلك الدراسة ، إن شاء الله تعالى .

والله الموفق